

البعد الديني في السياسة الخارجية الجزائرية في منطقة غرب إفريقيا (2012-2024)

The religious dimension of Algeria's foreign policy in the West African region (2012-2024)

سلاف بوداود¹، فضيل إبراهيم مزاري²¹ مخبر إصلاح السياسات العربية في ظل تحديات العولمة، جامعة حسيبة بن بوعلي في الشلف (الجزائر)s.boudaoud@univ-chlef.dz² مخبر إصلاح السياسات العربية في ظل تحديات العولمة، جامعة حسيبة بن بوعلي في الشلف (الجزائر)f.mazari@univ-chlef.dz

تاريخ الاستلام: 2024/05/16 تاريخ القبول: 2024/06/19 تاريخ النشر: 2024/06/27

ملخص:

أسست العلاقات السياسية والاقتصادية والأمنية بين الجزائر ومنطقة غرب إفريقيا لبناء روابط مشتركة عبر التاريخ، وساهم العامل الديني والروحي في تقويتها ودعمها، فإلى جانب المشترك التاريخي والامتداد الجغرافي، تمتلك الجزائر موروث ديني تواصل تصديره لدول المنطقة، كمقاربة موازية للمقاربات الاقتصادية والتنموية والعسكرية والأمنية تتلاءم وبيئة المنطقة، لدعم سياستها الخارجية وتقوية حضورها في المنطقة، من منطلق تفعيل آليات ترتكز أساسا على تحريك دور الزوايا والطرق الصوفية وشبكة علاقاتها العابرة للدول ورابطة علماء وأئمة دول الساحل، تاريخيا أثبتت هذه الآليات قدرتها على نشر الإسلام الوسطي ونبذ العنف والتطرف والإرهاب، وهذا ما يتماشى والمقاربة الأمنية الجزائرية في المنطقة، التي تركز على محاربة التهديدات الأمنية اللاتماثلية (اللاوطنية) التي تصدرها المنطقة، حيث تشكل خطرا على الأمن القومي الجزائري، وتدرك الجزائر ضرورة تفعيل دبلوماسيتها الدينية والروحية لتعزيز حضورها وخدمة مصالحها لاسيما في ظل التنافس الدولي في المنطقة.

الكلمات المفتاحية: الدبلوماسية الدينية، منطقة غرب إفريقيا، الزوايا والطرق الصوفية، التنافس الدولي، السياسة الخارجية.

Abstract:

The establishment of political, economic, and security relations between Algeria and the West African region has resulted in the creation of common ties

throughout history. The religious and spiritual aspect aids in strengthening and supporting it.

In addition to the historical commonality and geographical extension, Algeria possesses an important religious heritage that it can expand to the countries of the region. As a parallel approach to the economic, development, military and security approaches that relate to the environment of the region, to support its foreign policy and strengthen its presence in the West African region.

From the standpoint of activating mechanisms based mainly on mobilizing the Zawaya and the Sufi orders, their network of transnational relations, the Association of Scholars, and the imams of the Sahel countries, Historically, these mechanisms have proven their ability to spread moderate Islam and reject violence, extremism and terrorism, and this is consistent with the Algerian security approach in the region, which is based on combating symmetrical (non-international) security threats emanating from the region. As it poses a threat to Algerian national security, Algeria realizes the necessity of activating its religious and spiritual diplomacy to enhance its presence in the region and serve its interests, especially in light of the international competition in the region.

Keywords: religious diplomacy; West Africa region; International compétition; the Zawaya and the Sufi orders; Foreign Policy.

المؤلف المرسل: سلاف بوداود s.boudaoud@univ-chlef.dz

1. مقدمة:

يُشكل العامل الديني مرتكزاً أساسياً لتجمع الشعوب والتأسيس للمشارك فيما بينها منذ بروز الأديان بشكل عام، وبرزت الأمة الإسلامية بشكل خاص؛ فالدين الإسلامي يؤسس لقيم عليها تقوم أساساً على الجماعية التي تنبع أصلاً من إتيولوجية: الجامع، والجماعة، والمجموعة، والجامعة، كلها مفاهيم تشترك فيما بينها وتتضافر لتحقيق معاني: التكامل والوحدة والتضامن، التي تعكس أن الأمة الإسلامية تمتد أينما وجد المكون البشري المسلم، حيث لا تتقيد بالحدود الجغرافية بقدر ما تتقيد بالفرد المسلم. بعد أن توقفت حركة الفتوحات الإسلامية، بدأت الجامعات الإسلامية مثل: الأزهر الشريف، والزيتونة، والقيروان، والقرويين، تلعب أدواراً مهمة في حركة التعليم الديني بمختلف فروع ومجالاته للطلاب الوافدين؛ إلا أن الزوايا الصوفية بمختلف طرقها لعبت دوراً مزدوجاً، حيث مارست دور التعليم الديني لا سيما تحفيظ القرآن الكريم من جهة، واتجهت لتأسيس فروع لها في مختلف المناطق التي تعاني من نقص في

المؤسسات الدينية من جهة أخرى، ولهذا عند البحث في الجغرافيا الإسلامية نجد أن طريقة صوفية واحدة تمتد مثلاً من العراق إلى دول المغرب العربي لتنتشر في دول غرب أفريقيا.

يعتبر المشترك الديني عامل من عوامل قوة الدولة في أي منطقة، لا سيما وأن عالم السياسة اليوم يسعى لتوظيف كل الأوراق والفاعول لتحقيق أجنداته السياسية، فالأمر ينطبق أيضاً على الدبلوماسية التي تسعى هي الأخرى للاستثمار في كل الفواعل التي تمتلكها في جميع المجالات، حيث لا تقتصر على الجانب السياسي أو الاقتصادي أو الثقافي وحسب، بل تمتد إلى العامل الديني، وإذا كانت روسيا وظفت الكنيسة الأرثوذكسية لتعبئة الرأي العام الروسي لتأييد حربها على أوكرانيا باعتبار الحكومة الأوكرانية حكومة انحلال ديني وأخلاقي تابعة للغرب الامبريالي يجوز محاربتها، فلماذا لا تستغل الدول الإسلامية فواعلها في باقي الدول لتنفيذ أجنداتها وتحقيق مصالحها، خاصة وأن الدين الإسلامي يتميز بالتجديد والحيوية أكثر بكثير من اللاهوت المسيحي. ومن هنا تأتي أهمية التراث الصوفي في السياسة الخارجية الجزائرية الذي يمتد إلى منطقة غرب أفريقيا التي تعتبر عمقاً استراتيجياً للجزائر من جهة، وتمثل منطقة تنافس واستقطاب للعديد من دول العالم من جهة ثانية.

نظراً لاشتداد التنافس السياسي والاقتصادي بين مختلف الفواعل الإقليمية والدولية على منطقة غرب إفريقيا، بدأت كل دولة تحرك الفواعل المؤثرة في هذا الإقليم للحفاظ على مصالحها وتحقيق المزيد من النفوذ السياسي والاقتصادي، ونظراً لامتلاك الجزائر لموروث صوفي (الطريقة التيجانية والقادرية) يتمتع برأسمال ديني واجتماعي كبير يمكن توظيفه لتفعيل حضورها في المنطقة، لكن الإشكال المطروح: كيف يمكن توظيف البعد الديني في خدمة أهداف السياسة الخارجية الجزائرية في منطقة غرب إفريقيا؟

و للإجابة على هذه الإشكالية نضع الفرضيات التالية:

- يساهم المشترك الحضاري في تقوية العلاقات بين الجزائر و منطقة غرب إفريقيا.
- توظف الدبلوماسية الدينية كأداة لتفعيل السياسة الخارجية الجزائرية في منطقة غرب إفريقيا.

وتهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ثلاث أهداف رئيسية وهي:

- تحديد الرأسمال الثقافي للجزائر في منطقة غرب أفريقيا، وتبيان أهميته في تشبيك العلاقات السوسيو دينية مع الفاعلين الجزائريين والأفارقة في الحقل الديني، لا سيما في المجال الصوفي؛

- تبيان أهمية الاستثمار السياسي في العلاقات الدينية بين الفاعلين الدينيين الجزائريين والأفارقة في المنطقة؛

- تبيان كيفية الاستثمار في الرأسمال الثقافي واستخدامه كسلطة رمزية لتفعيل السياسة الخارجية في منطقة غرب إفريقيا لتقوية الحضور الجزائري في المنطقة.

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التاريخي ومنهج دراسة الحالة، باعتبارهما المنهجين المناسبين لتحليل العلاقة السوسيو دينية بين الجزائر ودول منطقة غرب إفريقيا، وكيفية الاستثمار فيها لتوظيفها في السياسة الخارجية الجزائرية؛ كما تعتمد أيضاً على المنهجية السوسيو تاريخية كمقاربة لتحليل الظاهرة الدينية وطبيعة الارتباط الروحي بين الفاعلين في الحقل الديني، وكيف يمكن الاستثمار فيها سياسياً لتقوية الحضور الجزائري في منطقة غرب إفريقيا. تستند الدراسة إلى المدرسة البنائية كإطار نظري لتحليل دور القيم والأفكار والمعتقدات، ودور العوامل النفسية والفهم الجماعي المشترك في خدمة أهداف السياسة الخارجية الجزائرية في منطقة غرب إفريقيا، دون إغفال العوامل المادية.

2. المشترك الحضاري بين الجزائر ومنطقة غرب إفريقيا

إن الموقع الجغرافي للجزائر وتاريخها الحضاري الثري، يفرض عليها إقامة علاقات مع مختلف الدول المجاورة لها، في مختلف المجالات، وتبرز هذه العلاقات في المبادلات التجارية والوفود العلمية والعلاقات الثقافية، وبقدر ما نجد هذا بين الجزائر ودول الوطن العربي، نجده أيضاً مع دول غرب إفريقيا، والذي يمكن تبيانه فيما يلي:

1.2 المعطى التاريخي:

شكلت الدائرة الإفريقية للجزائر محالاً هاماً لتحركها إقليمياً ضمن عمقها الإفريقي عبر مراحل تاريخية متواصلة، فمنذ خمسينيات القرن الماضي، أدركت الجزائر مدى أهمية العمل المشترك بين دول القارة الإفريقية لمجابهة الاستعمار الغربي والإمبريالية والعمل على تحقيق التنمية، وتماشياً مع مبادئ سياستها الخارجية التي تركز أساساً على محاربة الاستعمار وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها، ومناهضة العنصرية والدفاع عن قضايا السلم والأمن، كثّفت الجزائر من مساعيها الدبلوماسية لإيصال قضايا القارة الإفريقية إلى المحافل الدولية والدفاع عنها.

ساهمت الجزائر في تأسيس منظمة الوحدة الإفريقية سابقاً والاتحاد الإفريقي حالياً، وخلال حضورها اجتماع لرؤساء الدول الإفريقية عام 1963 بأديسا بابا، دعت إلى ضرورة وحدة الدول الإفريقية، كما أكد رئيس الجمهورية السابق (أحمد بن بلة) خلال زيارته لدول غرب إفريقيا عام 1964م على الاحترام المتبادل بين الدول الإفريقية (رمدوم، 2021، صفحة 51)، وقد أكد هذا التوجه السياسي الاستراتيجي المؤسس الدستوري، حيث تنص المادة 88 من الدستور الجزائري 1976م الصادر في الجريدة الرسمية عدد 94 لسنة 1976 على أن تحقيق أهداف منظمة الوحدة الإفريقية وتشجيع الوحدة بين شعوب القارة يشكّلان مطلباً تاريخياً ويندرجان كخط دائم في سياسة الثورة الجزائرية.

اقتصادياً سعت الجزائر للتأثير في الدول الإفريقية حديثة الاستقلال لتأمين واسترجاع سيادتها على ثرواتها، ودعت إلى عقد دورة خاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1974، تخصص للمواد الأولية والتنمية، وأسفر الاجتماع عن الإعلان على ضرورة وضع نظام اقتصادي دولي متوازن (بوعشة، 2004، الصفحات 48-49)، كما دعمت المبادرة الجديدة لتنمية إفريقيا "نيباد" باعتبارها إطاراً لصياغة السياسات والبرامج التي تحقق نهضة إفريقية، انطلاقاً من رؤية تركز على تحويل إفريقيا إلى شريك للتنمية بدلاً من تلقيها معونات أجنبية من الخارج، والعمل على تكوين بنية أساسية صلبة (خير، 2014، صفحة 30)، وتؤكد الجزائر على أن ذلك لا يتحقق إلا من خلال التضامن الإفريقي - الإفريقي، وإيماناً منها بضرورة التكتل القاري لتحقيق التنمية وإحلال السلم والأمن في القارة، تلتزم الجزائر بتقديم اشتراكاتها المالية لدعم الاتحاد الإفريقي، وتعتبر من بين أكبر خمسة دول داعمة للمنظمة (بومدين ع.، الجزائر وإفريقيا: إعادة بناء العلاقات في بيئة متغيرة، 2022)، كما لجأت إلى مسح ديون 14 دولة إفريقية والمقدرة بـ 900 مليون دولار، في عهد الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، مقابل تأييدها في القضايا الإقليمية والدولية داخل الاتحاد الإفريقي (Ameziane, 2018).

ساهمت الدبلوماسية الجزائرية من خلال نشاطها الدولي المكثف بفعالية في حل العديد من النزاعات بين الدول الإفريقية، لاسيما مشاكل الحدود التي خلفها الاستعمار، فتمكنت من وضع حد للحرب في القرن الإفريقي بين إثيوبيا وإريتريا، وتوسطت في حل النزاع المعقد في الكونغو الديمقراطية (بوعشة، 2004، صفحة 43)، إضافة إلى وساطتها في الأزمة السياسية والأمنية في مالي، كما أكدت

موقفها الداعم لحق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره خاصة بعد التقرب من نيجيريا عملاق إفريقيا التي لعبت دورا فاصلا في ضم جمهورية الصحراء الغربية لمنظمة الوحدة الإفريقية عام 1982، وفي مجال مكافحة الإرهاب تمتلك الجزائر تجربة رائدة أهلتها لقيادة مجهودات كبيرة في محيطها الإفريقي، من خلال تأسيس تكتل إفريقي، ودفع مجلس الأمن الدولي إلى إصدار لائحة تجريم دفع الفدية للجماعات الإرهابية لتحرير الرهائن. وفي إطار مناهضة الإمبريالية والاستعمار الجديد، دافعت الجزائر على أحقية الدول الإفريقية في ممارسة سيادتها الكاملة على مواردها الطبيعية، وإدانة إقامة قواعد عسكرية أجنبية في دول القارة (Chikh, 1986, p. 807)، لتمكينها من تحقيق التنمية والأمن.

2.2 المعطى الجغرافي:

تاريخيا، ساهم المشترك الجغرافي بين الجزائر ومنطقة غرب إفريقيا في بناء علاقات قوية ومد جسور التواصل وتداخل الثقافات وتبادلها، بفعل تأثير عوامل الهجرة والقوافل التجارية التي كانت تجوب الصحراء ودور الطرق الصوفية في نشر الدين الإسلامي، وبحكم موقعها الجيوستراتيجي وانتمائها للدائرة الإفريقية، تتشارك الجزائر حدود برية يبلغ طولها 6.343 كلم إلى عمق القارة الإفريقية بمجموع سبعة دول، منها ثلاث دول تنتمي جغرافيا لمنطقة غرب إفريقيا، حيث تتقاسم حدودها الصحراوية مع موريتانيا بـ 463 كلم ومالي بـ 1.376 كلم والنيجر بـ 956 كلم (حموم، 2020، صفحة 52).

لقد ساعدت العوامل الجغرافية المشتركة بين الجزائر وغرب إفريقيا في نسج الروابط المشتركة، وتجسد ذلك في الدور الذي لعبه إقليم توات قديماً في جنوب غرب الصحراء الجزائرية الذي يتوسط الطرق التجارية بين بلدان المغرب العربي وغرب إفريقيا، في نقل الموروث الحضاري من الجزائر إلى دول المنطقة. ولعل انتشار قبائل الطوارق كمكون أساسي للتركيبية الاجتماعية في الصحراء الكبرى على حدود الجزائر، النيجر، مالي، وليبيا دليل على تأثير المشترك الجغرافي على البناء الاجتماعي بين الجزائر ومنطقة غرب إفريقيا.

الخريطة رقم 01: الارتباط الجغرافي بين الجزائر ودول منطقة غرب إفريقيا



المصدر: المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا.

3.2 المعطى الديني:

يُشكّل الدين العامل المشترك بين الجزائر ودول غرب إفريقيا، من خلال الأدوار التي لعبها في نسج وتمتين علاقات الجزائر مع دول المنطقة عبر التاريخ، باستخدام آليات وأدوات دينية مكنت من بناء روابط مشتركة وعززت جسور التواصل الروحي؛ فبعد انتشار الإسلام في شمال إفريقيا عن طريق الفتوحات الإسلامية، شق طريقه إلى منطقة غرب أفريقيا (بلاد السودان سابقا)، حيث ساهمت قبائل البربر التي أسلمت في نشر الدين الإسلامي في المنطقة وأشهرها قبائل الطوارق أو المثلثين التي تعمل بالتجارة لاسيما تجارة الملح والمنسوجات والنحاس، الأمر الذي مكّن من مد جسور التواصل بين الضفة الشمالية ومحيطها الزنجي جنوبا، والذي يمتد شرقا إلى بحيرة التشاد، وسهّل عملية نشر الإسلام بهدوء دون اللجوء للعنف، فقد أثر حسن سلوك التجار المسلمين كحفظ الأمانة والنظافة واحترام الغير عند احتكاكهم بشعوب دول غرب إفريقيا في دخول الكثيرين منهم للإسلام (الجمال و ابراهيم، 1996، صفحة 100)، خاصة وأن العديد من هؤلاء التجار يجمعون بين التجارة والعلم، فإلى جانب نشاطهم التجاري كانوا يؤسسون حلقات لتعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي، واكتسب التجار المسلمون سمعة كبيرة لدرجة أصبح فيها الإسلام جواز عبور لمن يريد التجارة في منطقة غرب إفريقيا.

في القرن الحادي عشر ميلادي، انتشر الإسلام في معظم مناطق السودان الغربي وأصبح تأثيره قويا في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية، حيث تم تأسيس ممالك إسلامية منها مملكة غانا، مملكة مالي وإمبراطورية السنغاي في النيجر الأوسط، والتي حرصت على نشر تعاليم الدين الإسلامي وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية واتباع المذهب المالكي كمرجعية دينية، وتم بناء العديد من المساجد، وانتشر العلم والأدب بانتشار العلماء و الفقهاء والأدباء، وساهمت هذه العوامل إلى جانب رحلات شيوخ الزوايا والطرق الصوفية والقوافل التجارية للمسلمين القادمة من الضفة الشمالية خاصة من الجزائر في انتشار التصوف في دول غرب إفريقيا كظاهرة روحية واجتماعية مع مطلع القرن 15م (أمباكي، الطرق الصوفية في غرب إفريقيا، 2021، صفحة 30)، وتم نقل عدة طرق صوفية من الجزائر إلى دول المنطقة أهمها الطريقة القادرية والطريقة التيجانية.

تعتبر الطريقة القادرية من أقدم الطرق الصوفية في غرب إفريقيا، ويجمع المؤرخون على أن الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني هو أول من أدخل الطريقة القادرية إلى منطقة نهر النيجر في القرن 15م، وساهم في نشر التعليم وإصلاح المجتمع ومحاربة الوثنية والشرك والدعوة لإتباع تعاليم الدين الإسلامي، وامتدت أفكاره للتأثير في ترقية الحياة السياسية، ثم انتشرت بعدها في السينغال خلال القرنين السابقين، ويعود الفضل في إرساء قواعدها وبناء صرحها وإعطائها الطابع الإفريقي لنشاط آل الشيخ الكنتي والشيخ محمد الفاضل بن مامينا (أمباكي، الطرق الصوفية في غرب إفريقيا، 2021، صفحة 31) وجهود السيد التآزاري التي ارتكزت في مناطق واسعة من غرب إفريقيا وشملت ما يعرف اليوم بدول غامبيا وغينيا بيساو وليبيريا وغانا (علي باري و كريدية، 2007، صفحة 44)، وساهم منهج وفكر الطريقة القادرية في بعث الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا أدت في بعض الحالات إلى إقامة دول إسلامية مثل دولة الفلاني (سكوتو) التي أسسها الشيخ عثمان دان فوديو، ودولة ماسينا التي أسسها الشيخ أحمدو لوبو متأثرا بالفكر الدعوي والجهادي للشيخ عثمان دان فوديو وبتوجهات خلافة سوكتو (باري، 2000، صفحة 168)، وانتشرت الطريقة الفاضلية في موريتانيا للشيخ محمد الفاضل القلقامي كفرع من الطريقة القادرية، وتوسع نشاطها في عهد ابنه الشيخ ماء العينين الذي نجح في توطيد علاقاته مع دولة المغرب ومساندتها في مواجهة الاستعمار الفرنسي. ولتعليم مبادئ الطريقة الفاضلية في المغرب تم بناء العديد من الزوايا بمدينة فاس وسمارا ومراكش، وامتدت إلى السينغال وتم بناء عدة زوايا منها زاوية

دار السلام بجنوب السنغال تضاف لزاوية النجاسن بالسينغال التي يتواجد بها ضريح الشيخ بوكنت (أحد زعماء الكنتيين)، وفي موريتانيا تم بناء زاوية نمجاط وزاوية بوتلميت، وتعتبر هذه الزوايا مراكز إشعاع هامة ساهمت في نشر تعاليم الدين الإسلامي وتحفيظ القرآن وتعليم اللغة العربية بمنطقة غرب إفريقيا.

أما الطريقة التيجانية للشيخ أبي العباس أحمد بن محمد التيجاني الحسني - ولد سنة 1737م بدائرة عين ماضي بولاية الأغواط الجزائرية - فقد ظهرت في القرن الثامن عشر ميلادي في منطقة غرب إفريقيا، ويعتبر الشيخ محمد الحافظ بن مختار من قبيلة أداو - علي الموريتانية أول من أخذ الطريقة عن الشيخ أحمد التيجاني مباشرة ونقلها إلى موريتانيا ومنها إلى مالي والسينغال والغابون (باري، 2000، صفحة 238) وصولاً إلى غانا وتوغو وكوت ديفوار وسيراليون. استطاعت الطريقة التيجانية كحركة صوفية وسياسية أن تؤسس دولة تحت رايته بقيادة الشيخ عمر تال الفوتي الذي لازم الشيخ مولود الشنقيطي وأخذ عنه مبادئ الطريقة التيجانية، وتمكن من نشرها في السنغال ومالي والنيجر وغامبيا، واعتمد الشيخ عمر الفوتي في نشره لهذه الطريقة على الجهاد والحرب ضد الوثنيين، لكن الشيوخ الذين تولوا قيادة الطريقة من بعده اتبعوا الدعوة السلمية ونجحوا في ذلك أمثال الشيخ عبد الله نياس وأولاده.

لعبت الزوايا والطرق الصوفية دوراً كبيراً في تقوية العلاقات بين الجزائر ودول غرب إفريقيا، حيث تجلّى ذلك في الأثر الروحي الذي طبعته تعاليمها على أتباعها من قادة وشعوب دول المنطقة وارتباطهم بالطرق الصوفية في الجزائر باعتبارها المنطلق الأصلي لها وموطن المشيخة العامة، والتي تحظى باحترام كبير منهم، بالإضافة إلى الدور الذي لعبته في محاربة الاستعمار الأوروبي وحملات التبشير المسيحي، ونشر الثقافة الإسلامية، دون إغفال الدور التجاري الذي عزز الترابط بين الجزائر ودول غرب إفريقيا. ولتقوية هذا الترابط بين الجزائر وعمقها الإفريقي، تم تفعيل آلية جديدة بتأسيس "رابطة علماء وأئمة دول الساحل" في 29 جانفي 2013 بالجزائر العاصمة كهيئة رسمية، بمشاركة موريتانيا، النيجر، مالي، بوركينا فاسو، مؤخراً تم تعيين غينيا وكوت ديفوار والسينغال كدول ملاحظة، مهمتها نشر الدين الوسطي المعتدل والتصدي لفكر التطرف ونبد العنف وتكوين مرجعية دينية علمية لنشر وتعزيز قيم السلم والتعايش بين المجتمعات الإفريقية (يزير، 2022، صفحة 534) ويتم عقد مؤتمرات سنوية تتناول قضايا مرتبطة بالدين والتطرف والإرهاب ومناقشتها للخروج بتوصيات تخدم مصلحة المنطقة.

3. جيوسياسية الدبلوماسية الدينية للجزائر في منطقة غرب إفريقيا

تأخذ الدبلوماسية الدينية للجزائر في منطقة غرب إفريقيا مجموعة من الأبعاد، وهي الأبعاد التي يمكن للجزائر التأثير بها في محيطها الجغرافي. والتي ستحصرها الدراسة في ثلاثة أبعاد: البعد السياسي والدبلوماسي، البعد الاقتصادي والتنموي، البعد الأمني والعسكري.

1.3 البعد السياسي والدبلوماسي:

يُعتبر الدين مجالاً واسعاً للنقاشات العامة كجزء من الحياة الاجتماعية، خاصة في دول غرب إفريقيا، ويفسر الارتباط بين الدين والسياسة مدى أهميته بالنسبة لحكومات دول غرب إفريقيا، لاسيما أن معظم سكانها يدينون بالدين الإسلامي، ويتبعون المذهب المالكي كمرجعية فقهية، والكثير منهم ينتمون إلى الطريقة التيجانية أو القادرية، الأكثر تغلغلاً في المؤسسات السياسية والإدارية الرسمية. فالجزائر تدرك الثقل السياسي والنفوذ القوي للزوايا الصوفية في منطقة غرب إفريقيا، وتأثيرها في السياسة العامة؛ وقد تتحول هذه النخب الدينية إلى جماعات ضاغطة تؤثر في توجيه سياسات حكوماتها إقليمياً، لذلك تسعى الجزائر للاستثمار في المشترك الصوفي مع دول غرب إفريقيا كأداة لتوطيد علاقاتها بقيادة دول المنطقة، لكسب تأييدهم في القضايا الدولية والإقليمية لاسيما على مستوى الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقي.

منذ ستينيات القرن الماضي حرص الرئيس الراحل هواري بومدين على تفعيل دور الزوايا والطرق الصوفية واعتبرها بوابة الدخول لإفريقيا، كما حظيت باهتمام كبير من طرف الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد، حيث نظمت حكومته في عام 1984 تجمعا للطريقة التيجانية حضره أتباعها من مختلف دول غرب إفريقيا (السينغال، مالي، وموريتانيا)، وتم منح السينغال 20 مليون دولار كمساعدة مالية لبناء السكنات بالعاصمة داكار على هامش هذا التجمع، إلا أن هذا الاهتمام تراجع في مطلع التسعينات من القرن الماضي، واستمر لمدة عقد من الزمن، بسبب الأوضاع الأمنية الصعبة التي مرت بها الجزائر، لتعود إلى نشاطها بمجيء الرئيس عبد العزيز بوتفليقة عام 1999، والذي أبدى اهتماما كبيرا بالزوايا والطرق الصوفية أكثر من سبقوه من رؤساء الجزائر (بولعراس، 2020، صفحة 64)، ففي عام 2006، تم تنظيم ملتقى دولي بولاية ورقلة عن الطريقة القادرية، وملتقى دولي آخر عن الطريقة التيجانية بواد سوف بحضور شيوخ وأتباع هذه الطرق من دول غرب إفريقيا، و تبادل الزيارات بينهم، وفي جانفي 2022، حظي الخليفة العام للطريقة التيجانية الجزائري باستقبال أسطوري خلال زيارته لنيجيريا من قبل الملايين من الأتباع و المواطنين.

كما برهن الرئيس السنغالي مكي صال عن عمق الأبعاد الدينية والروحية التي تجمع شعوب البلدين، في زيارته للزاوية التيجانية الأم بعين ماضي بالأغواط، بقوله "إن السنغال فيه ما فيه من أبناء سيدي أحمد التيجاني وذريته المنتمين إليه" (بومدين ع.، 2018، صفحة 300)، والذي حاول من خلاله التأكيد على أن العلاقات بين الجزائر والسنغال تمتد على مدى قرون من الزمن، وترتقي إلى الارتباط الديني الذي يتعدى الحدود الجغرافية والمصالح الاقتصادية. وتراهن الجزائر أيضا في دبلوماسيتها الدينية تجاه منطقة غرب إفريقيا على مخرجات أنشطة رابطة علماء ودعاة أئمة دول الساحل، كآلية فعالة للتأثير في سياسات دول المنطقة، فمنذ تأسيسها، عملت الرابطة على تكثيف مساعيها من أجل تعزيز قيم الحوار والمصالحة الوطنية، ونقل التجربة الجزائرية في المصالحة الوطنية لدول غرب إفريقيا للاستفادة منها، وهذا ما أكده رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية للدولة التشاد بأن الجزائر تعد نبراسا للحرية ولعلمائها في الرابطة من خلال تقاسم تجربتها في مجال المصالحة الوطنية وتصديرها لدول الساحل، من أجل تعزيز السلام والحوار الوطني وإقامة الدولة على مرتكزات صلبة (بوزينة، 2022).

تمكنت رابطة علماء ودعاة أئمة دول الساحل من كسب ثقة صناع القرار في منطقة غرب إفريقيا عموما، من خلال المهام التي تقوم بها في بسط السلام ومحاربة العنف والتطرف، وتقديم نماذج ناجحة لتجارب دول تبنت مبادئ الحوار والمصالحة الوطنية؛ ففي عام 2022، تم عقد المؤتمر الدولي الخامس عشر بنجامينا عاصمة التشاد بعنوان "دور الأئمة والدعاة في تعزيز مبادئ الحوار والمصالحة في دول الساحل"، والذي أكد من خلاله الأمين العام للرابطة بزاز الخميسي دعم رابطة علماء ودعاة أئمة دول الساحل الجهود المبذولة من قبل السلطات العليا الانتقالية في تشاد (بوزينة، 2022).

2.3 البعد الاقتصادي والتنموي:

تحاول الجزائر تركيز تواجدها الاقتصادي في منطقة غرب إفريقيا، من خلال توسيع انفتاحها على الضفة الجنوبية، في إطار التعاون جنوب-جنوب لتعزيز علاقاتها بدول المنطقة، بتبنيها مقاربة التنمية في إفريقيا، وتجسد عبر دورها المحوري في تأسيس ودعم مبادرة النيباد (قط، 2017، صفحة 47). وهذا نظراً لكون دول غرب إفريقيا منطقة عبور استراتيجية لمشروع خط أنبوب الغاز العابر للصحراء، ينطلق من نيجيريا

ليمر عبر النيجر ويصل إلى حاسي الرمل بالجزائر، ومن ثم إلى أوروبا لتزويدها بالغاز الطبيعي (شليغم، 2021، صفحة 113)، في المقابل يتم انجاز مشروع خط الألياف البصرية من الجزائر نحو النيجر ونيجيريا، إضافة إلى أنها سوق مفتوح للتبادل التجاري بين الجزائر ودول المنطقة، خاصة بعد إنشاء المنطقة التجارية الحرة بتندوف، التي تعتبر همزة وصل بين الجزائر ودول غرب إفريقيا عبر موريتانيا من خلال المعبر الحدودي "الشهيد مصطفى بن بولعيد" (بوزنون، 2024)، وهذا ما أكدّه الرئيس الموريتاني محمد ولد الشيخ الغزواني بأنها ستكون منطقة تلاق وجسر تبادل، تعزز التعاون بين الجزائر ودول غرب إفريقيا؛ كما تم فتح خطوط جوية وبحرية من الجزائر نحو موريتانيا والسينغال وكوت ديفوار وبوركينافاسو ومالي، إضافة إلى فتح بنكين في كل من السينغال وموريتانيا لتسهيل عملية تسويق وتصدير منتجاتها.

تعمل الجزائر على تنويع مقارباتها للتعاون مع دول غرب إفريقيا، وهذا من خلال الاستثمار في موروثها الديني الممتد عبر التاريخ، كآلية لدعم وتعزيز علاقاتها الاقتصادية مع دول غرب إفريقيا، بتفعيل دور الزوايا والطرق الصوفية في نسج وتقوية علاقات الانتماء الروحي لها، وفي هذا السياق تستقطب الزوايا الصوفية في الجزائر كل سنة طلبة أفارقة جلعهم من السينغال وبوركينافاسو ومالي والنيجر لتعليمهم مبادئ الدين الإسلامي واللغة العربية وتحفيظهم القرآن الكريم، بهدف نشر الثقافة الإسلامية التي تشبّعوا بها بعد عودتهم إلى بلدانهم، وبالتالي سيصبحون سفراء للجزائر في دولهم، لاسيما أن هؤلاء الطلبة هم أيضاً من خريجي المعاهد والجامعات الجزائرية من مختلف التخصصات وسيشغلون مناصب عليا في بلدانهم، ومن خلال التواصل معهم عبر عقد ندوات سنوية بالجزائر واستدعائهم، ليتم تبادل الخبرات معهم وعقد اتفاقيات وبرامج عمل في مختلف المجالات (بوعبد الله، 2023) لاسيما الاقتصادية والاجتماعية والتي تهدف إلى تحقيق التنمية وتحسين المستوى المعيشي، وتعزيز أواصر الترابط بين البلدين.

من جهة أخرى، تدعم الجزائر رابطة علماء ودعاة أئمة دول الساحل لفعالية دورها في تقوية العلاقات مع دول الساحل، من خلال الدعوة إلى ضرورة تعزيز روابط الإخاء والصدقة وتبادل الخبرات والتجارب التي تخدم المنطقة، فبالموازاة مع نشاط الدبلوماسية الاقتصادية للجزائر في منطقة غرب إفريقيا، تم تفعيل الدبلوماسية الروحية كدعامة لها، من خلال الترويج للمشارك للصوفي بين الجزائر ودول المنطقة، ودوره في نشر الإسلام المعتدل، إضافة إلى دور رابطة علماء ودعاة أئمة دول الساحل في تصدير المرجعية الدينية للجزائر المتنبية للإسلام الوسطي المستمد من فقه الإمام مالك ورواية ورش من القرآن الكريم.

3.3 البعد الأمني والعسكري

بات اهتمام الجزائر بمنطقة غرب أفريقيا يأخذ أبعاداً أمنية، خاصة بعد أحداث سبتمبر 2001، وبداية الحرب على الإرهاب الذي اتخذ من هذه المنطقة مكاناً لتحركاته ونشاطاته، إضافة إلى ارتباطه بشبكات الجريمة المنظمة والهجرة غير الشرعية، مما أجبرها على التعامل مع تهديدات غير دولية لم تعهدها سابقاً (بن عنتر، 2016، صفحة 46)، لحماية حدودها البرية والحفاظ على أمنها القومي، ومع تفاقم النزاع على تخومها المباشرة لاسيما في مالي وتزايد مطالب الطوارق بالانفصال والاضطرابات الداخلية بسبب الانقلابات العسكرية (عبد العالي، السياسة الخارجية تجاه دول الحوار: بين مقتضيات الدور الإقليمي والتحديات الأمنية، 2014، صفحة 19)، أُجبرت الجزائر على إعادة ضبط استراتيجيتها العسكرية والأمنية، من خلال تسخير إمكانيات عسكرية مادية وبشرية هائلة، مع التنسيق الأمني إقليمياً ودولياً من خلال بناء مقاربات أمنية (تجريم تقديم الفدية للجماعات الإرهابية لتجفيف منابع تمويلها) وتفعيل دبلوماسيتها الاقتصادية عبر دعم الشراكة بين إفريقيا والقوى الكبرى (مبادرة النيباد) ومسألة البناء الإفريقي من خلال بناء مؤسسات الإتحاد الإفريقي، إضافة إلى توظيفها الموروث الحضاري الذي تنقسمه مع دول المنطقة.

4. تحديات الدبلوماسية الدينية للجزائر في منطقة غرب إفريقيا

تواجه الدبلوماسية الدينية للجزائر في منطقة غرب إفريقيا جملة من التحديات، تنصرف إلى تحديات متعلقة بالبيئة الداخلية، وأخرى تنصرف إلى البيئة الإدراكية لصانع القرار، وأخيراً البيئة الخارجية، وهي المستويات الثلاثة التي سنأخذها في التحليل.

1.4 البيئة الداخلية

يعتبر الدين الإسلامي مصدر من مصادر الشرعية السياسية للجزائر داخليا، تعتمد عليه الدولة في تنظيم الأمور العامة في مختلف الأصعدة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، حيث تستمد منه صياغة الدستور ومختلف القوانين، ويحظى الدين في الجزائر بأهمية كبيرة، إلا أن دوره تراجع في فترة التسعينات بسبب الأزمة الأمنية والظروف الداخلية التي مرت بها الجزائر نتيجة إلغاء مسار الانتخابات وإقصاء حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ (دحمان، 2023)، وتم تصدير صورة للجزائر ارتبط فيها الدين الإسلامي بالإرهاب والعنف والتطرف بناء على حجج مغلوطة، ليطم إعادة التيار الصوفي المعتدل إلى الواجهة كبديل للموازنة

داخليا وخارجيا منذ مجيء الرئيس عبد العزيز بوتفليقة عام 1999. حافظت الزوايا الصوفية في الجزائر على المرجعية الدينية المالكية، المتبينة للإسلام السني الوسطي (دقيش و حميداني، 2023، صفحة 811) الذي ساهم بشكل كبير في تحقيق الاستقرار السياسي في البلاد.

2.4 البيئة الإدراكية لصانع القرار

تشكل البيئة الإدراكية لصانع القرار محددًا مهمًا في مسار الدبلوماسية الدينية الجزائرية تجاه منطقة غرب إفريقيا، من خلال مخرجاتها، وفق مخطط عمل الحكومة. فالجزائر تمتلك رصيداً معنوياً كبيراً يمتد عبر التاريخ، يؤهلها لتقوية حضورها إقليمياً ودولياً لاسيما في منطقة غرب إفريقيا، من خلال الاعتماد على موروثها الديني الذي يسهم في تصدير المرجعية الدينية للجزائر المتمثلة في الإسلام الصوفي الوسطي من المذهب المالكي، وتبني الخطابات الدينية المعتدلة ونبد العنف والتطرف والإرهاب، وفي هذا الإطار يتم سنوياً استقبال طلبة أفارقة لتعليمهم تعاليم الدين الإسلامي واللغة العربية وتحفيظهم القرآن الكريم، أغلبهم من السنغال وبوركينا فاسو ومالي والنيجر على مستوى ستة زوايا صوفية جزائرية، إضافة إلى جاهزية زوايا صوفية أخرى واستعدادها لاستقبال وافدين جدد من الطلبة الأفارقة لديها يفوق عددها 15 زاوية على مستوى الوطن (بوعبد الله، 2023).

فلطالما تعامل صناع القرار في الجزائر عبر عقود من الزمن مع منطقة غرب إفريقيا كتهديد وليس كمنطقة لخلق الفرص وتحقيق المصالح المشتركة في شتى المجالات، ليتم بعدها استدراك الوضع لإعادة الانخراط في المنطقة، وذلك لإدراك صانع القرار الجزائري الثقل الكبير لهذا الموروث الروحي وأهمية توظيفه كآلية لتمتين العلاقات بين الجزائر وإفريقيا، فقد اعتبر الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون أن الدبلوماسية الدينية بمثابة ركيزة عمل للنهوض بالحضور الروحي للجزائر في إفريقيا، وتم إدراج ذلك في مخطط عمل حكومته 2021-2024 (الأولى، 2020).

كما تتمن الجزائر دور رابطة علماء ودعاة أئمة دول الساحل في تعزيز السلم والأمن في دول غرب إفريقيا وتدعمها، لأهمية الدين وحجم تأثيره في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في دول المنطقة، وفي

هذا الإطار، يولي صانع القرار الجزائري أهمية كبيرة لرجال الدين في دول غرب إفريقيا، على غرار استقبال الرئيس عبد المجيد تبون لرجل الدين والسياسي المالي (الإمام ديكو) في الجزائر ديسمبر 2023، والذي أسفر عن توتر في العلاقات بين الجزائر ودولة مالي، قامت على إثره دولة مالي بإنهاء اتفاق السلم والمصالحة بالجزائر 2015 (عزام، 2024).

لكن اعتماد الجزائر في توجيه دبلوماسيتها الدينية نحو منطقة غرب إفريقيا على الدوائر الرسمية قد يعقد عملية الاتصال وتطوير العلاقات وتمثيل المصالح في المنطقة، لاسيما وأنها تتسم بكونها محافظة وغير مرنة، وقد تكون على دراية محدودة بالمعطيات والروابط الدينية والروحية، والتراكمات الحضارية بين الجزائر ومنطقة غرب إفريقيا وباعتبارها مهذا لكبرى الطرق الصوفية المنتشرة في المنطقة (عبد العالي، العقيدة، الهوية والدبلوماسية: تقييم العلاقة المعقدة لانخراط الجزائر في غرب إفريقيا، 2023) الممتدة لقرون.

3.4. البيئة الخارجية

تتميز منطقة غرب إفريقيا بمجموعة من المقومات جعلتها مجالا حيويًا للتنافس الدولي ومسرعا للنزاعات الدولية، فبعد نهاية الحرب الباردة، اتجهت أنظار الدول المتقدمة نحو منطقة غرب إفريقيا، ولم تقتصر فقط على الدول الاستعمارية التقليدية وبالأخص فرنسا، بل دخلت أطراف أخرى للتنافس في المنطقة، وبالرغم من تعدد المصالح الخاصة بكل طرف، إلا أن المصالح الاقتصادية هي المتغير المشترك بين هذه القوى. وهذا بدوره يشكل تحديا كبيرا للدبلوماسية الجزائرية بأبعادها السياسية والاقتصادية والتنموية والأمنية والروحية في المنطقة، من خلال تزايد نفوذ هذه القوى وهيمنتها بتوظيفها لمختلف الآليات والأدوات لتنفيذ مشاريعها.

تسعى الولايات المتحدة الأمريكية لتأمين مصادرها الطاقوية في منطقة غرب إفريقيا، خاصة بعد الاستكشافات المهمة في المنطقة "خليج غينيا" (بومدين و قاسي، المقاربة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي: نحو تفعيل مبدأ الدبلوماسية الإنسانية، 2017)، عبر ثلاث محاور، يتركز المحور الأول على تفعيل النشاط التجاري بينها وبين دول المنطقة، عن طريق دعم استثمارات الشركات الأمريكية في مجال النفط، لاسيما في نيجيريا، أما المحور الثاني فيتركز على الجانب السياسي من خلال الترويج للديمقراطية الغربية وحقوق الإنسان في دول المنطقة، إضافة إلى المحور الثالث وهو المحور العسكري والأمني، لتعزيز تواجدنا في

المنطقة (بجلولي، 2016، صفحة 193)، من خلال استخدام قواعد عسكرية وجوية في المنطقة لمواجهة الجماعات المسلحة التي تهدد مصالحها على غرار القاعدة الجوية بالنيجر، ومواقع عسكرية في السينغال ومالي وغانا، خاصة بعد الانقلابات العسكرية في المنطقة (النيجر، بوركينا فاسو، مالي) والتضييق الذي تتعرض له القوات الفرنسية بعد فشل عملياتها العسكرية والأمنية في محاربة الجماعات الإرهابية، وتدهور الأوضاع الأمنية والاقتصادية والاجتماعية بالمنطقة، مما أجبر الولايات المتحدة الأمريكية على وضع إستراتيجية جديدة للتعامل مع هذه التطورات، لاسيما إستراتيجية ملء الفراغ في ظل تراجع دور القوات الفرنسية في المنطقة.

توظف الولايات المتحدة الأمريكية الدين كأداة لدعم وجودها في منطقة غرب إفريقيا وتعزيزه، من خلال نشر المسيحية لاسيما في أوساط الشعوب التي تتبع الديانات المحلية، عبر منظمات وتجمعات دينية داعمة للعمل الطوعي التي صرح الإعلان الأمريكي لحقوق وواجبات الإنسان 1948م بضرورة حمايتها، كالمنشخة المعمدانية الأمريكية التي تعمل في معظم دول إفريقيا (علي، 2010، صفحة 224) لنشر المسيحية، بذريعة محاربة الفقر ودرء الكوارث الإنسانية، وأمام هذه المعطيات، تواجه الدبلوماسية الدينية الجزائرية حملات التبشير المسيحي في منطقة غرب إفريقيا، التي ترصد لها الولايات المتحدة الأمريكية موارد مالية وبشرية هائلة وفق برامج متخصصة لاستهداف أكبر قدر من المنتصرين، تطال حتى المسلمين منهم. من منطلق أهميتها الجيوسياسية، تشهد منطقة غرب إفريقيا كذلك تنافس كبير للقوى الصاعدة لتعزيز نفوذها بالمنطقة، بارتكازها على مجموعة من الآليات والأدوات تتفاوت درجة استغلالها حسب إستراتيجية كل دولة، وتسعى الصين وروسيا من خلال تواجدهما في منطقة غرب إفريقيا إلى إعادة التمتع في ظل تنافس القوى الكبرى، فالصين تعتمد على الموارد الطبيعية في المنطقة لتأمين مصادرها من النفط والمعادن، وتوفير أسواق تصديرية للسلع والمنتجات الصينية التي تضم جزءا من العمالة الصينية (Thrall, 2015, p. 87) ومحاوله عزل تايوان دبلوماسيا وإنهاء تواجدتها في المنطقة، من خلال إقناع دول غرب إفريقيا بقطع علاقاتها الدبلوماسية معها، واستبدالها باعتراف هذه الدول بالصين، لدعم مواقفها في المحافل الدولية والإقليمية لتكريس الدور الصيني عالميا كقوة ذات سلطة ونفوذ، بالارتكاز على مقاربات اقتصادية وتنموية (مبدأ الرابع-رابح) لتأمين طريق الحرير "مبادرة الحزام والطريق" وأمنية وعسكرية من خلال تدريب وتجهيز القوات المسلحة لدول المنطقة، إضافة إلى المجال الثقافي والعلمي من خلال محاولة تعليم ونشر اللغة والثقافة الصينية، وتقديم منح تعليمية للطلبة من دول المنطقة.

تحاول روسيا الوصول والسيطرة على مصادر الطاقة والثروات التعدينية والمعدنية خاصة مناجم الذهب واليورانيوم في الساحل الإفريقي، وتستند سياسة روسيا في منطقة غرب إفريقيا إلى آليات تتلاءم والبيئة الإفريقية، من خلال التركيز على إرثها التاريخي بالعودة إلى التقاليد السوفيتية في علاقاتها مع إفريقيا القائمة على مبدأ "التحرر من الامبريالية العالمية" التي تقودها الدول الغربية الاستعمارية عبر التاريخ، واستكمالها لهذه المهمة في الحاضر، بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لها وعدم تقييدها بنهج الأدبيات السياسية الغربية لا سيما فيما يتعلق بالديمقراطية وحقوق الإنسان، وتوفير خدمات أمنية لمحاربة الجماعات المسلحة دون الحاجة لبناء قواعد عسكرية بالاستعانة بالشركات الأمنية الخاصة (فاغنر)، إضافة إلى توظيف المحدد الثقافي كآلية مرنة لكسب ثقة حكومات وشعوب منطقة غرب إفريقيا، من خلال تقديم منح تعليمية لطلبة دول المنطقة (حوالي 34.000 منحة تعليمية عام 2022 لطلبة سيراليون، نيجيريا، ساحل العاج)، واستخدام الدين كأداة فعالة للتأثير في الشعوب عبر نشر التبشير المسيحي خاصة بعد تفويض الكنيسة الأرثوذكسية الروسية ممارسة نشاطها في إفريقيا (دهشان، 2024)، وهذا ما يمثل عقبة كبيرة أمام الدبلوماسية الدينية الجزائرية في منطقة غرب إفريقيا، لاسيما أن معظم دساتير دول غرب إفريقيا تنص على علمانية الدولة وحرية الاعتقاد وحرية تغيير الدين، ماساهم في غرس كثير من القيم المسيحية حتى وسط المسلمين في المنطقة (قيصر، 2010، صفحة 126).

لقد برزت مؤخراً دولة الإمارات العربية المتحدة فاعلاً عربياً مؤثراً في منطقة غرب إفريقيا، وتحرص على تجسيد مشاريعها كإستراتيجية للتوسع، عن طريق نسج شبكة شراكات اقتصادية، لتأمين تبادلاتها التجارية واستقطاب استثماراتها في المنطقة في مجال الصناعة والتكنولوجيا والزراعة والبنية التحتية (السكك الحديدية، الموانئ، شبكة الطرقات..). تركز أغلبها في دول مالي، النيجر، البينين، السينغال وبوركينا فاسو، بالإضافة إلى التعاون العسكري والأمني الذي ترجم ببناء أكاديمية عسكرية في موريتانيا لتدريب كبار الضباط في مجموعة دول الساحل الخمس G5، منها قوات عسكرية تابعة لدولة مالي مع تزويدها بأسلحة ومدرعات خفيفة (ندا، 2024)، إضافة إلى الدبلوماسية الإنسانية بتكثيف نشاط المؤسسات الخيرية الإماراتية، والخدمات الثقافية كبناء المدارس والمساجد، ودعم التيارات الفكرية الصوفية في المنطقة، تعمل الإمارات العربية مع المغرب وإسرائيل كمحور واحد، لتنفيذ مشاريعها في منطقة غرب إفريقيا، ما يشكل تحدٍ للدور الجزائري في المنطقة لتعارض المصالح لاسيما الاقتصادية والأمنية منها.

في ظل التنافس الجزائري - المغربي على الموروث الصوفي في المنطقة؛ تسعى المملكة العربية السعودية للنفوذ في منطقة غرب إفريقيا عبر ترسيخ الفكر السلفي، كما تعمل إيران على نشر المذهب الشيعي في المنطقة عبر دعم حركات شيعية ناشطة في دول غرب أفريقيا؛ فهذه كلها تعتبر تحديات تهدد النموذج السني الصوفي في منطقة غرب إفريقيا، كما تهدد علاقات الارتباط والتشابك الديني بين الجزائر ودول هذه المنطقة، مما يؤثر بشكل مباشر على المصالح الجزائرية في المنطقة. كما ساهم المهاجرون التجار الذين توافدوا من لبنان إلى دول منطقة غرب إفريقيا لاسيما منذ منتصف القرن التاسع عشر في التأسيس وإعداد أرضية ملائمة لنشر المذهب الشيعي في المنطقة، وازداد نفوذهم بعد تقلدهم مناصب حكومية عليا مكنتهم من توفير غطاء سياسي وحماية قانونية للمتشييعين في المنطقة (سوادغو، 2016، صفحة 07)، فكانت الدعوة للتشييع تنشط بالموازاة مع نشاطهم التجاري خاصة تجارة السلاح والماس والمنسوجات والصناعات الخفيفة، لتمهد الطريق أمام تغلغل حزب الله اللبناني ونشاطه في المنطقة بحكم علاقاتهم القوية به، من خلال الاستثمار في مجال التصدير والاستيراد، وغسيل الأموال وتجارة السلاح وتدريب مليشيات تابعة له لحماية مصالحه في المنطقة، بالتنسيق مع إيران التي عملت على تأسيس نفوذها بها لنشر المذهب الشيعي وتصديرها لفكر الثورة الإسلامية، وفي ظل التمدد الشيعي الذي تدعمه لبنان في منطقة غرب إفريقيا، تعمل الجزائر على صد هذا التيار، عبر تفعيل آليات دينية لتعزيز المشترك الديني بينها وبين منطقة غرب إفريقيا القائم على الإسلام الصوفي المعتدل وفق المرجعية الدينية لفقه الإمام مالك.

5. الخاتمة:

يشكل الموروث الديني المشترك بين الجزائر ومنطقة غرب إفريقيا عاملاً أساسياً في تقوية العلاقات الدبلوماسية وترقيتها، حيث ساهمت الزوايا والطرق الصوفية الممتدة من الجزائر إلى منطقة غرب إفريقيا في تكوين رصيد ديني وروحي رسخ قواعد الإسلام المعتدل وفق المرجعية الفقهية للإمام مالك، نتج عنه امتداد جسر عبور وانتماء روحي لشعوب دول المنطقة لهذه الزوايا والطرق الصوفية، وبالرغم من توفر هذا الموروث الروحي ودعمه بآلية دينية ممثلة برابطة علماء ودعاة أئمة دول الساحل، إلا أن توظيف الجزائر للمحدد الديني في أدوار سياسية واقتصادية وأمنية بالمنطقة محدود جداً، في الوقت الذي تعرف فيه المنطقة تنافس بين قوى دولية وإقليمية وعربية بتوظيفها للدين كمحرك لسياستها الخارجية لتنفيذ مشاريعها بالمنطقة.

إن التغيرات السياسية التي طرأت على العديد من دول غرب أفريقيا، خاصة في مالي والنيجر وبوركينا فاسو أثّرت بشكل كبير على علاقات الجزائر بهذه الدول منذ نهاية سنة 2023، نتيجة بروز نخب عسكرية طموحة لتحرر من الإرث التاريخي، والاتفاقيات القائمة مع الشركاء التقليديين، والبحث عن شركاء جدد، مناسبين لتوجهاتهم السياسية داخلياً وخارجياً، وفي هذا السياق برزت روسيا كفاعل قوي في تقوية المؤسسة العسكرية لدول المنطقة، وتوفير الحماية في مجلس الأمن من خلال العضوية الدائمة وحقوق الفيتو، كما برزت الإمارات والمغرب كشريك اقتصادي لتوفير الاحتياجات الأساسية للبلاد، وكذا منح فرص لهذه النخب في تهريب الأموال إليها على شكل استثمارات في شركات التنقيب واستخراج الذهب. من هنا يصبح الاستثمار في الدبلوماسية الدينية ضروري جداً إلا أنه غير كافٍ وحده للمحافظة على العلاقات الدبلوماسية وضمان المصالح الجزائرية في دول المنطقة، لا سيما فيما يتعلق بالمصالح الأمنية، باعتبار هذه الدول تقع ضمن العمق الاستراتيجي للجزائر. بناء على ما سبق، يمكن تقديم التوصيات التالية:

- تحتاج الدبلوماسية الدينية الجزائرية إلى المزيد من التخطيط والتنسيق بين الدوائر الحكومية لإثراء برامجها والتمكن من تنفيذها، بالتنسيق مع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وزارة الشؤون الدينية، وزارة الخارجية ووزارة الثقافة.

- القيام بإصلاحات داخلية تتعلق بإعادة ضبط وتنظيم الأوقاف والمؤسسات الدينية.

- ضرورة توحيد المرجعية الدينية وتطويرها، وتوجيه الخطاب الديني بأسلوب جذاب يتضمن معاني التسامح والتضامن ونبذ العنف والتطرف والإرهاب.

6. قائمة المراجع:

Ameziane, R. (2018). *politique, économie, religion, sociétés, la politique africaine de l'algerie*. Retrieved 02 04, 2024, from strategia:

<https://urlis.net/3apcpqgsk>

Chikh, S. (1986). le maghreb et l'afrique. *études internationales* , 17(04), p. 807.

dfgf. (fgf). *gdf. fdg: dfg.*

Thrall, L. (2015). China's Expanding African Relations. *rand corporation* , p. 87.

ابراهيم عكاشة علي. (2010). *النشاط التنصيري في افريقيا*. السودان: معهد مبارك قسم الله للبحوث.

أحمد دهشان. (2024). *النفوذ الروسي في افريقيا: الدوافع والإستراتيجية والأدوات*. تاريخ الاسترداد 04 08 , 2024,

من أبعاد للدراسات الإستراتيجية: <https://shorturl.at/8iuf5>

اسماعيل عزام. (2024). *الجزائر-مالي... كيف تدهورت العلاقة بسبب النزاع مع الطوارق*. تاريخ الاسترداد 03 24 ,

2024, من <https://shorturl.at/U2Mo5> DW:

الوزارة الأولى. (2020). *مخطط عمل الحكومة*. تاريخ الاسترداد 04 12 , 2024, من مصالح الوزير الأول:

<https://t.ly/6L54a>

جلول يزيز. (2022). *الأمن الفكري ودوره في محاربة التطرف ونشر قيم السلم-رابطة علماء ودعاة وأئمة دول الساحل*

بالجزائر أنموذجا. *مجلة آفاق للعلوم* , 07 (03), صفحة 534.

حسان بوزنون. (2024). *رئيس الجمهورية يضع حجر الأساس لإنجاز مشروع المنطقة الحرة التجارية تندوف*. تاريخ

الاسترداد 03 05 , 2024, من المصدر الإقتصادي: <https://t.ly/Dzqik>

خديم محمد سعيد أمباكي. (2021). *الطرق الصوفية في غرب افريقيا*. قطر: مركز الجزيرة للدراسات.

خديم محمد سعيد أمباكي. (2021). *الطرق الصوفية في غرب افريقيا*. قطر: مركز الجزيرة للدراسات.

سعيد ندا. (2024). *الإمارات في افريقيا: نفوذ متنام وطموحات بعيدة المدى*. تاريخ الاسترداد 04 20 , 2024, من

أبعاد للدراسات الإستراتيجية: <https://t.ly/-WAv9>

سمية رمدم. (2021). *الجزائر وافريقيا: نحو البحث عن فاعلية الدور*. *مجلة متابعات افريقية* (15), صفحة 51.

- سمير قط. (2017). السياسة الخارجية الخارجية في افريقيا: التطورات والمحددات. مجلة العلوم السياسية والقانون (01)، صفحة 47.
- شريعة دقيش، و سليم حميداني. (2023). ممارسة النفوذ من خلال الصوفية الوظيفية: دراسة في تجربة النظام الجزائري. مجلة السياسة العالمية، 07 (02)، صفحة 811.
- شوقي عطا الله الجمل، و عبد الله عبد الرزاق ابراهيم. (1996). تاريخ المسلمين في افريقيا ومشكلاتهم. مصر: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- عائشة بومدين. (2018). الصوفية والسياسة في السنغال. مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل، 01 (03)، صفحة 300.
- عبد الحق دحمان. (2023). البعد الديني كأحد مصادر النفوذ الناعمة في السياسة الخارجية الجزائرية. تاريخ الاسترداد 02 05، 2024، من مركز المجدد للدراسات والبحوث: <https://almojaded.com/2023/10/25/12506>
- عبد الرزاق جاسم خيرى. (2014). مبادرة الشراكة الجديدة من أجل التنمية في افريقيا. دراسات دولية، 59، صفحة 30.
- عبد القادر عبد العالي. (2014). السياسة الخارجية تجاه دول الجوار: بين مقتضيات الدور الإقليمي والتحديات الأمنية. المجلة الجزائرية للأمن والتنمية (07)، صفحة 19.
- عبد القادر عبد العالي. (2023). العقيدة، الهوية والدبلوماسية: تقييم العلاقة المعقدة لاخراط الجزائر في غرب افريقيا. مداخلة غير منشورة مقدمة للملتقى الوطني الدبلوماسية الدينية للجزائر في منطقة غرب افريقيا: الرهانات والتحديات يوم 11 ديسمبر 2023 (الصفحات 01-13). الجزائر: جامعة حسنية بن بوعلي الشلف.
- عبد النور بن عنتر. (2016). البعد الإفريقي للأمن القومي الجزائري. المجلة الجزائرية للسياسات العامة (11)، صفحة 46.
- عبيد شليغم. (2021). السياسة الخارجية الفرنسية تجاه منطقة غرب افريقيا 2007-2017 (أطروحة دكتوراه). 113. كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية قسم الدراسات الدولية، الجزائر: جامعة الجزائر 03.
- عثمان براىما باري. (2000). جندور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي. مصر: دار أمين للطباعة.
- عربي بومدين. (2022). الجزائر وافريقيا: إعادة بناء العلاقات في بيئة متغيرة. مداخلة غير منشورة مقدمة للملتقى الوطني حول سبب تفعيل الدبلوماسية الجزائرية في افريقيا في ظل التنافس الدولي (الصفحات 01-20). الجزائر: جامعة وهران.
- عربي بومدين، و فوزية قاسي. (فبراير، 2017). المقاربة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي: نحو تفعيل مبدأ الدبلوماسية الإنسانية. مجلة المستقبل العربي (456)، الصفحات 127-141.
- غلام الله بوعبد الله. (04، 12، 2023). الزوايا والطرق الصوفية كآلية لتفعيل الدور الجزائري في منطقة غرب افريقيا. (سلاف بوداود، المحاور) الجزائر، المجلس الإسلامي الأعلى.

- فتحي بولعراس. (2020). استخدامات الصوفية في التنافس الجزائري-المغربي غرب افريقيا حالة التيجانية. *مجلة السياسة الدولية* ، 55 (230)، صفحة 64.
- فريدة حموم. (2020). مسألة تأمين الحدود الجزائرية: الحاجة لوضع استراتيجية أمنية شاملة. *استراتيجية* (14)، صفحة 52.
- لبنى بملولي. (2016). جيوبوليتيك النفط في افريقيا والتنافس الأمريكي-الصيني. *مجلة العلوم القانونية والسياسية* (13)، صفحة 193.
- محمد الأمين سوادغو. (2016). انتشار التشيع وتأثيره في النسيج الاجتماعي في غرب افريقيا. *قراءات افريقية* (27)، صفحة 07.
- محمد بوعشة. (2004). *الدبلوماسية الجزائرية وصراع القوى الصغرى في القرن الإفريقي لإدارة الحرب الإثيوبية-الإرتيرية*. لبنان: دار الجبل للنشر والطباعة والتوزيع.
- محمد فاضل علي باري، و سعيد ابراهيم كريدة. (2007). *المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة*. لبنان: دار الكتب العلمية.
- مخلوف كمال بوذينة. (2022). الرئيس التشادي يستقبل وفد رابطة علماء ودعاة وأئمة الساحل. تاريخ الاسترداد 03 03، 2024، من دولي: <https://t.ly/L0ZhP>
- موسى الزين قيصر. (2010). *النشاط التنصيري في افريقيا*. السودان: معهد مبارك قسم الله للبحوث.